

سورة القصص

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5)﴾

شرح الكلمات:

{وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ} نتفضل وننعم

{عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ} وظلموا، وغلبوا على أمرهم

{وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً} يهتدى بهم في الخير، ويقتدى بهم في الدين

{وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} للحكم والملك؛ بعد فرعون

المعنى الإجمالي :

هنا تُطالِعنا غضبة الحق تبارك وتعالى للمؤمنين {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ} [القصص: 5] والمنة: عطاء مُعَوَّض، وبدون مجهود من معطي المنة، كأنها هبة من الحق سبحانه، وغضبة لأوليائه وأهل طاعته؛ لأن الحق تبارك وتعالى كما قال الإمام علي: إن الله لا يُسلم الحق، ولكن يتركه ليبلو غيرة الناس عليه، فإذا لم يغاروا عليه غَارَ هو عليه.

والحق تبارك وتعالى حينما يَغَارُ على الذين اسْتُضْعِفُوا لا يرفع عنهم الظلم فحسب، وإنما أيضاً {وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً} [القصص: 5] أئمة في الدين وفي القيم، وأئمة في سياسة الأمور والملك {وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} [القصص: 5] أي: يرثون مَنْ ظلمهم، ويكونون سادةً عليهم وأئمةً لهم، فانظر على كم مرحلة تأتي غيرة الله لأهل الحق.

وأراد الله أن يتفضَّل على الذين استضعفهم فرعون في الأرض، وأن يجعلهم هداة إلى الخير، ويورثهم ملك الأرض والسلطان.

وأراد الله تعالى إنصاف الضعيف وعقاب المستكبر، فأَنعم الله على المستضعفين المؤمنين برسالة موسى عليه السلام، وخلصهم من بأسه، وأَنقذهم من ظلمه ومكره. وجعل الله أولئك الضعاف الأذلة ولادة الأمور، ووارثين لملك فرعون وأرضه وما في سلطانه، وجعل لهم السلطة والنفوذ في أرض فرعون. وأرى الله فرعون الطاغية، وهامان وزيره الماكر، وأتباعهما ما كانوا يخافون منه، من ذهاب ملكهم، وهلاكهم على يد مولود من بني إسرائيل، وقد أَنفذ الله أمره، وحَقَّق حكمه، بأن جعل تدمير فرعون وقومه على يد من تربَّى في قصره، بعد أن صيَّره الله رسولا ونبياً، وأنزل عليه التوراة، ليعلم أن الله وحده هو القاهر الغالب على أمره، ويتم أمر الله فيما أوقعه بفرعون وقومه وجنده فيما خافوه وحذروه من جهة بني إسرائيل وتغلبهم.

من أسباب النصر والتمكين:

1- الإيمان بالله - تبارك وتعالى - والعمل الصالح.

2- نصر دين الله - تعالى.

3- التوكل على الله والأخذ بالأسباب.

4- الثبات عند لقاء العدو.

5- الشجاعة والبطولة والتضحية في سبيل الله - تبارك وتعالى.

6- كثرة الدعاء وكثرة ذكر الله.

7- عدم العجب والاعتزاز بالقوة والكثرة.

8- الاجتماع وعدم التفرق والتنازع.

فوائد الدعاء للمستضعفين:

1- دعاؤك للمستضعفين من المسلمين هو عبادة لله تعالى، هو قرينة لله تعالى؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "الدعاء هو العبادة.

2- دعائك هذا الصادق يرضى الله عنك.

3- دعاؤك للمستضعفين من المسلمين هو دليل على صحة عقيدتك.

4- دعاؤك للمستضعفين من المسلمين هو تفريج لكرب عظيم يعانون منه، فأَي كُرب أشد من سطوة المستبدين، ومن قهر الجرمين، ومن تعدي الظالمين؟ فدعاؤك هذا شعور بمعاناتهم، وبأحزانهم، وبأوقاتهم العصيبة، وبآلامهم، هو تعاطف معهم، هو استجابة لاستغاثاتهم التي لِعِظَمها ولحرقتها ولشدتها سَجَّلَهَا الله تعالى في القرآن.

5- دعاؤك للمستضعفين من المسلمين هو تثبيت لهم، وتقوية لشوكتهم.

في ظلِّ هذه الظروف العصيبة، أُمِر المسلمون بالصبر عليها، والاستعانة بالله على تجاوزها بالوسائل التالية:

أ) الصبر والصلاة، قال الله تعالى لهم: ((وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)) ((قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا)) [الأعراف: 128]. وقال لهم ولغيرهم: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) [البقرة: 153].

فالصلاة سمة المسلم حين الرخاء وحين الشدة والضراء.

ب) والإيمان بالله والتوكل عليه، ضروري للمسلم في كلِّ حال، وهما في حال الشدة عدة ((وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ)) [يونس: 84].

ج) وكذلك الدعاء وصدق اللجوء إلى الله، يصنع أملاً من الضيق، وفيه فرج من الكروب، وخلاص من فتنة الظالمين، ونجاة من الكافرين. ((فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)) [يونس: 85-86].

ويحسُّ المسلمون برباط العقيدة مهما كانت فواصل الزمن، وكما تجاوز المؤمنين من قوم موسى - عليه السلام - الحنة كذلك ينبغي أن يتجاوزها المسلمون في كل عصر وملة، وكما صام موسى يوم عاشوراء من شهر الله الخرم، شكراً لله على النصر للمؤمنين، صامه محمد - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنون.

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (311)



فوائدها من تفسير سورة القصص الآية 5

تهدى ولا تباع

ولا تنسونا من صالح دعائكم

أعدها (عزمي إبراهيم عزيز)

8- إنَّ الله سنناً يسير عليها العالم، وتخضع لها حياة الأفراد والأمم، وتؤثّر في قيام الحكومات والقيادات وسقوطها. وهي سنن ثابتة مقرّرة، وجارية نافذة، لا تتغيّر ولا تتحوّل. فكلّما حدث وضع أو نشأت ظاهرة تتطلّب تلك السنن، نفذت وتحكّمت، لا يحول دون نفوذها حائل، ولا تنفع في ردّها حيلة. (ولنّ نجد لسنة الله تبدّلاً) [الأحزاب/62].

9- أخرج الله تعالى فرعون وقومه مما كانوا فيه من ملك عريض، وجنّات وبساتين، وأنهار وعيون، ونعم ومتاع، وقصور ومبان خرجة أخيرة لا عودة بعدها، وأورثها كلها - في قول- بني إسرائيل المظلومين المعذّبين. قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء/59].

10- الكبر حين يستشري في النفس، ويتمكّن من قلب الإنسان، ويملك عليه جسده وفكره، يكون أسوأ ما يُصيب الإنسان من أمراض القلب؛ فما من خلق من الأخلاق المدمومة، إلّا وتجد صاحب الكبر مُصيّباً به.

11- أن نور الله مهما حاول الجرمون طمس معاملة، وأن الطغاة وإن أثروا في عقول الدماء فترة من الزمن، واستمالوهم بالمنح والعطايا، فإن القلوب بيد الله، يُصرفها كيف يشاء.

12- أن الصراع مهما امتد أجله والفتنة مهما استحكمت حلقاتها، فإن العاقبة للمتقين، لكنّ ذلك يحتاج إلى صبر ومصابرة واستعانة بالله صادقة: ((قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)) [الأعراف/128].

أجل فلا ينبغي أن يُحالج قلوب المؤمنين أدنى شكّ بوعده الله، ولا ينبغي أن يساورهم القلق وهم يصبرون على الصّراء، ولا ينبغي أن يخدعهم أو يغرهم تقلّب الذين كفروا في البلاد، فيظنّوه إلى الأبد، وما هو إلا متاع قليل، ثمّ يكون الفرّج والنصر المين للمؤمنين.

والله اعلم ..

صلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

1- إن رسالة الإسلام الخالدة إنما ركزت في مخططها العام على تحقيق العدل ونشره، ومحاربة الظلم وسدنته، والحدّ من غطرسة أهل الاستكبار والبغي، والعمل على مناصرة المستضعفين المظلومين في كل مكان.

2- التحذير من الظلم والاستطالة على الناس والفساد في الأرض.

3- إن من أنواع التمكين، هلاك الكفار ونجاة المؤمنين ونصرهم في المعارك كالذي حدث في قصة نوح عليه السلام مع قومه، وموسى عليه السلام مع قوم فرعون، وطالوت مع جالوت، ونبينا صلى الله عليه وسلم في مغازيه كبلر وغيرها.

4- إن الله وعد عباده المخلصين بالنصر أولئك الذين إنتصروا على أنفسهم وتغلّبوا على كل مايشوبها وسدوا كل منافذ الفرقة والتشردم وتغلّبوا على حظ النفس وجسدوا معنى الوحدة هم من قضوا على كل شر وفساد هؤلاء هم من سينالون النصر بعون الله فمن نصر الله وتشيت بحصنه المنيح وأعز بركنه وإحتمى بكفنه وأعتمد عليه فحتماً سينال نصره إن شاء الله.

5- الشر حين يمتحض يحمل سبب هلاكه في ذاته؛ والبغي حين يتمرّد لا يحتاج إلى من يدفعه من البشر؛ بل تتدخل يد القدرة وتأخذ بيد المستضعفين المعتدى عليهم ، فتنتقدهم وتستنقذ عناصر الخير فيهم ، وتربّهم ، وتجعلهم أئمة ، وتجعلهم الوارثين .

6- أن جزاء الظلم والعلو في الأرض بالفساد هو الخسران في الدنيا والآخرة، وأن العاقبة والنصر للمظلوم ولو بعد حين.

7- أن شكر الله عز وجل على نعمه سبب لبقائها وزيادتها وأن جحودها واستعمالها فيما لا يرضيه سبب لعذاب الله وسخطه كما يدلنا عليه قوله عز وجل: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (5)